﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

النَّظرُ يقودُ إلى الإنابةِ، والإنابةُ تثمر التَّذكُّرَ، والتَّذكُّرُ يوجبُ الإخلاص

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة منَّةَ اللّه في إراءة الآياتِ الباهرة المتضمِّنة للأدلَّة الظّاهرة والنِّعم المتواترة؛ ناسب أن يذكر ما يتسبَّب عن ذلك من التَّذكُّر والاتِّعاظِ، ممّا يقود إلى أمرِ عبادهِ بتوحيدِه وإخلاص الدّين له، أي: فإذا كان الأمرُ كما ذُكِرَ من اختصاص التَّذكُّر بِمَن يُنيبُ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1]، فالنَّظرُ في الآيات يُثمر الإنابةَ، والإنابةُ تثمر التَّذكُّرَ، والتَّذكُّرُ يوجب الإخلاص للّه تعالى[2]، قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، أي: إذ تذكَّرتم: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُخۡلِصِينَ﴾: أصلُ (خلص) يدلُّ على تنقيةِ الشَّيءِ وتهذيبِه[3]، وخَلَصَ الشَّيءُ بالفَتْحِ، يَخلُصُ خُلوصًا، أي: صارَ خالِصًا[4]، وأخلَصه، وخلَّصه، وأخلَص للّه دينَهُ: أمْحَضَهُ، وأخلَصَ الشَّيءَ: اختارَهُ، والمُخلَصون المُختارون، والمُخْلِصون الموَحِّدون، وخَلَص إليه الشَّيءُ: وصَلَ، والمرادُ بالإخلاص في الآية: إمحاضُ العبادةِ للّه وعَدَمُ الشَّوْبِ بمُغايرٍ[5].

2) ﴿ٱلدِّينَ﴾: (دين) أصلٌ واحِدٌ إليه يَرجِعُ فُروعُهُ كُلُّها، وهو جنسٌ مِن الانقيادِ، والذُّلِّ، فالدّينُ: الطّاعَةُ، يُقالُ: دانَ له يَدينُ دينًا؛ إذا

(1) حقّي، روح البيان: 8/ 163.
(2) السعدي، تفسير السعدي، ص: 734.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (خلص).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 316.

أصْحَبَ، وانقادَ، وطاعَ[1]، ودانَ نَفْسَهُ، أي: أذَلَّها، واستعبدها[2]، واستُعير الدّين للشَّريعة، وهو كالملَّة، لكنَّه يُقال اعتبارًا بالطّاعة والانقياد للشَّريعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19][3]، والمرادُ بالدّين في الآية: المُعامَلَةُ، أي: مُعاملَةُ المَخْلوقِ رَبَّهُ، وهي عِبادتُهُ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّوحيد حقُّ اللهِ على العبيد

لمّا ذَكَرَ الله تعالى من الأدلَّة على التَّوحيد؛ أمَرَ عبادَهُ بدعائه وإخلاص الدّين له، فقال: إذا علمتُم أنَّ التَّذكُّر خاصٌّ بمَن ينيب؛ فادعوه تعالى وحْدَه مُخلِصينَ له، غيرَ مُشرِكينَ به شَيئًا في كُلِّ حالٍ، حتَّى في حالِ كَراهةِ الكافِرينَ إفرادَكم العبادةَ للّهِ وحدَه[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الفاء ودلالتها:

عند تحقُّق المعرفة بإقامة الأدلَّة فالتَّوحيد واجبُ الوجود

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ﴾ تحتمل أن تكون فصيحةً، والمعنى: إذا علمتم ما تقدَّم مِنَ الأدلَّة الموجبة للتَّوحيد؛ فادعوه وحده، وتحتمل التَّفريع على ما قبلها، بمعنى: أنَّه لمّا كانَ النَّظر في آياتِ الله تعالى مقتضيًا الإنابة إليه، وكان كلُّ مَن ينيب إليه يتذكَّر هذه الآيات الظّاهرة والنِّعم الباهرة؛ رتَّب الأمر على ذلك، والتَّفريع والفصيحة متكاملان.

غرضُ الأمر ودلالته:

الدُّعاء على معنى سؤال الحاجة من الله تعالى والتَّوجُّه إليه سبحانه

صيغةُ الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ تفيد وجوب الامتثال والمداومة عليه، ولمّا كان الخطابُ للمؤمنين المنيبين؛ كان الأمر

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دين).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (دين).
(3) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (دين).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 316.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 294، والمراغي، تفسير القرآن: 24/ 53.

مستعملًا في طلب الدَّوام على هذا الدُّعاء والاستزادةِ منه؛ لأنَّ المُؤمنينَ قَد دَعَوا اللّه مُخلِصينَ لَهُ، فالمَقصودُ: دوموا عَلَى ذَلِكَ، واستزيدوا منه، فالأمر في الآية كالأمر في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النّساء: 136][1]، ولمّا جاء الأمرُ بعد ذكر حالِ الكافرين؛ أفاد أنَّ المرادَ الإعلانُ بذكرِ اللّه وعبادته، ودعاؤُه على معنى سؤال الحاجة والتَّوجُّهُ إليه سبحانه، فاللَّفظ يعمُّ المعنيين.

تعيينُ مرجع الضَّمير ودلالته:

الاختلافُ في تعيينِ مرجع الضَّمير مردودٌ إلى احتمال السّياق والنَّظم

الظّاهر أنَّ ضميرَ الجمع في ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ يعودُ إلى المنيبين المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[2]، وهو الَّذي عليه جمهور المفسِّرين، ويدلُّ عليه السّياق سباقًا ولحاقًا؛ لأنَّ الأمرَ بالدُّعاء مسبَّبٌ عن الإنابة، ولأنَّه جاء في اللَّحاق: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ فيكون في الكلامِ التفاتٌ بليغ، فبعد أن ذكرَ إراءةَ الآياتِ وتنزيل الرِّزق؛ لينتفع بمدلولها جميعُ النّاس من المؤمنين والكافرين، خصَّ التَّذكُّر بمن يُنيب، فقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾، فنبَّه بالقصر إلى أنَّ المؤمنين هم الذين يُنيبون، ويتذكَّرون، فالتفت الخطاب إليهم تنويهًا بهم، فكأنَّه قال: (فادعوا اللّه أيُّها المنيبون).

وأجاز بعضُ المفسِّرين أن يكونَ الضَّمير في ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ عائدًا إلى عموم النّاس من المؤمنين والكافرين[3]، كما هو الحال مع الضَّمير في ﴿يُرِيكُمۡ﴾ و﴿لَكُمۡ﴾، وعلى هذا الوجهِ يكون لفظُ ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ على العموم في المعنى؛ لأنَّه يفيد أمر المؤمنين بالاستمرار على الإخلاص للّه تعالى والزّيادة فيه، وأمرَ الكافرين بتركِ الكفر والإقبالِ إلى عبادة اللّه والإخلاص له، والوجه الأوَّل هو الظّاهر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 105.

(2) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان: 3/ 708، والزّمخشري، الكشاف: 4/ 156، وحقّي، روح البيان: 8/ 163.

(3) الشهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 362، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 308.

بقرينة السّياق، والقول الآخر له احتمالُهُ مِن جهة عموم السّياق، وبقرينة لِحاظ مقصد الآيات، وإنشاءُ الأمر يقتضي ذلك، وأمّا خصوص السّياق؛ فإنَّ الكافرَ إن آمن؛ أصبح مِنَ المنيبين، وعليه أن يواجهَ بقوَّةٍ كراهة بقيَّة الكافرين لذلك.

بلاغةُ الإظهار في موضع الإضمار:

جاء قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ﴾ بإظهار الاسم الجليل ﴿ٱللَّهَ﴾، مع أنَّه قد جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ بصيغة المضمر، فكان الظّاهر أن يُقال: (فادعوه مخلصين له الدّين)، فلمّا جاء مظهرًا؛ كان على خلاف مقتضى الظّاهر، وتوجيهُ ذلك أنَّه لمّا كان الكلامُ مفرَّعًا على ما قبله لاستجدادِ غرضٍ آخرَ؛ جُعِلَ مستقلًّا عمّا قبله[1]، وهو إنشاءُ طلبِ الإقبال عليه سبحانه وعبادته.

تفريعُ الأمرِ على الاستدلال إنشاءٌ لجملةٍ مستقلّةٍ في نظمها ومقصدها

فائدةُ التّعبير بالاسم الجليل:

جاء ذِكرُ الاسم الجليل ﴿ٱللَّهَ﴾ دون ذكر (الرَّبِّ)؛ لتمكين الاسم الجليل من المخاطَبين فضْلَ تمكُّنٍ، وللإشعارِ بأنَّ مقتضى ألوهيَّتِه تعالى أن يكون هو المعبود بحقٍّ، وأن يُعبدَ سبحانه وحده، وأن يُخلصَ له في العبادةِ[2].

الاسمُ الجليل عنوان العبادةِ والطّاعة

مناسبةُ اختيارِ مفردة ﴿مُخۡلِصِينَ﴾:

لمّا كان الخالصُ هو ما زال عنه شوبهُ بعد أن كان فيه، وأفاد معنى التَّصفية ممّا يخالطُهُ؛ كان مجيء لفظ: ﴿مُخۡلِصِينَ﴾ حالًا مفيدًا معنى: اجعلوا دينكم خالصًا لله تعالى في دعائِكم، أي: إنَّ دعاء الله تعالى يجب أن يكونَ صافيًا من كلِّ ما سواه، فالمخلصُ في دعائِهِ متبرِّئٌ عن كلِّ ما سوى الله تعالى، وهو المتَّسق مع السّياق

الإخـلاصُ تمحيضٌ للحقِّ بعد الاختلاط بالباطلِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 105.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 308.

الذي جاء فيه ذمُّ الشِّرك وأهله، فإنَّ الشِّرك خلطٌ للحقِّ بالباطل، بحيث يتمحَّض فيما بعد للباطل، والإخلاص تمحيضُ الحقِّ للحقِّ.

نوعُ اللّام وفائدتُها:

اللّامُ في قولِه تعالى: ﴿لَهُ﴾ للاختصاص؛ ليفيدَ اختصاص الإخلاصِ في الدُّعاء والعبادة باللّه تعالى وحده، وفائدتُها في تَعيينِ موضعِ الإخلاص.

فائدةُ تقديم ﴿لَهُ﴾ على المفعول:

ازدحامُ النَّصِّ بأدلَّة الإخلاصِ دليلُ الأهمّيَّة والعناية بالمطلوب

قدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَهُ﴾ على مفعول اسم الفاعل في قولِه تعالى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ للاختصاص، وهو ترشيحٌ آخر لبناء الدّين على الإخلاص، بعد اختيار المفردة، ودلالة حرف اللام، وهنا التَّقديم، بمعنى: أنَّ إخلاص الدّين لا يكون إلّا للّه تعالى، فإن شاركَهُ غيرُه؛ فقد المخلص شرطَ القَبولِ.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلدِّينَ﴾:

كلُّ ما يخضع به العبدُ على سبيل العبادةِ فهو دينٌ

(أل) في لفظِ ﴿ٱلدِّينَ﴾ للاستغراق، والمراد من ﴿ٱلدِّينَ﴾ ما يدين به الإنسان في طاعتِه للّه وعبادتِه له، أي: أخلصوا للّه تعالى في كلِّ ما تدينون به له، وتتقرَّبون به إليه، ففي هذا المعنى تقريرٌ لأن يكون الدُّعاء في قولِه: ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ شاملًا للدُّعاء الَّذي هو العبادة ولِدعاء المسألة والتَّوجُّه له سبحانه[1]، والدّين الحق الذي يدين به العباد للّه تعالى هو دين الإسلام.

نوعُ الواو ودلالتها:

ثباتُ القلبِ على الإخلاص واجبٌ مع أقوى الصُّعوبات

الواو في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ حاليَّة، والمعنى: اعبدوه في كلِّ حال حتى في حال كراهية الكافرين ذلك؛ لأنَّ كراهية الكافرين ذلك - والمؤمنون بين ظهرانيهم، وفي بلاد فيه سلطانُ الكافرين - مظنَّةٌ لأن يصدَّهم ذلك عن دعاءِ اللّه مخلصين له الدين[2].

(1) السعدي، تفسير السعدي، ص: 734.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 105.

نوعُ (لَوْ) ومعناها:

وجوبُ استدامة الدُّعاء وعدم التَّخلّي عنه في أيِّ حالٍ من الأحوال

(لَوْ) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ شرطيَّةٌ وصليَّةٌ، بمعنى: أنَّ الشَّرط الذي بعدها يفرضهُ المتكلِّم؛ ليكون غايةَ ما يتوقَّعُ معه انتفاءُ الحكم الذي قبلها، فيكون ذكرُ ما بعدَ (لَوْ) مقصودًا منه وجوبُ تحقُّق الحكم في سائر الأحوال، وإن وصل الأمر إلى الحال الَّتي تكون على أشدِّها لتمنع تحقيق الحكم وإنجازِه[1]، فلا تطلب (لَوْ) الوصليَّة جوابًا، ولا يقصدُه المتكلِّم؛ ليفيد مجيء (لَوْ) وجوبَ استدامة الدُّعاء وعدم التَّخلّي عنه في أيِّ حالٍ من الأحوال، والمعنى: فادعوا الله مخلصين له الدّين وإن وصل الحالُ إلى كره الكافرين ذلك، وذهب بعض النُّحاة والمفسِّرين إلى أنَّ (لَوْ) الوصليَّة ما دامت شرطيَّة؛ فإنَّها تقتضي جوابًا مقدَّرًا من السّياق، وتقديرُ الكلام: ولو كره الكافرون، فادعوا الله مخلصين له الدّين، أي: استديموا على الأمر، ولا تنقطعوا عنه، فيكون في تقدير الجواب تقريرًا للأمر بالدُّعاء وتأكيدًا له لمجيئِه تحقيقًا قبل الشَّرط وتقديرًا بعده.

دلالةُ الإيماءِ في صيغة الماضي:

كُـرْهُ الكافرين للتَّوحيد واقعٌ قطعيٌّ ومعرفتُه واجبٌ شرعي

لمّا كان الأصلُ في زمان الفعل الذي يأتي بعدَ (لَوْ) الاستقبال؛ لأنَّها بمنزلةِ (إنْ) الشَّرطيَّة التي تكون للمستقبل، فإذا جاء الفعل بعدها ماضيًا؛ انصرف إلى المستقبل[2]؛ كان مجيء الفعل ﴿كَرِهَ﴾ بصيغة الماضي على خلاف مقتضى الظّاهر؛ للإيماء بأنَّه بمنزلة الذي وقع، وحصلَ؛ تقريرًا لِكره الكافرين، وأنَّه واقعٌ - لا محالة - فعدَمُ توقُّعه من الضَّعف في إدراك ما تُكنُّه نفوس الكفّار.

نكتةُ حذف مفعول ﴿كَرِهَ﴾:

حُذِف مفعول فعل ﴿كَرِهَ﴾ لإفادة العموم، والتَّقدير: ولو كره

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 307.
(2) الجيش، تمهيد القواعد: 1/ 207.

الكافرون دعاءَكم وعبادتكم وإخلاصَكم لله في دينكم؛ ليفيد أنَّ الكافرين يشقُّ عليهم إخلاصُ المؤمنين في دينهم، وأنَّهم يكرهون الإخلاص لله وحده غايةَ الكراهة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [الزمر: 45]، كما أنَّ حذْفَ المفعول يدلُّ على تقدير المحذوف في كلِّ زمانٍ، فإنَّ لكلِّ زمان ما يكرهه الكافرون مِنَ المؤمنين، فزمانُ انتشار الوثنيَّة والشِّرك، ليس كزمان انتشار الإلحاد والفسق، فالكراهية نابعةٌ ممّا يتعارض مع مصالح الكافرين على مدى الزَّمان، وهذا مِن أرشق ما تُحذف له مفعولاتُ الأفعال، ممّا يدركها أربابُ الدَّعوة إلى دين التَّوحيد، بربط ذلك بواقعهم.

كراهيَّةُ الكافرين للعبادةِ الحقَّة تختلف بحسب الواقع والمصالح

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾:

(أل) في لفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ للاستغراق، فيدخل فيها كلُّ كافرٍ يكره ما يراه من إخلاص العبادة لله وحده.

بلاغةُ الكناية:

في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ كنايةٌ عن الصَّدِّ والمقاومة وما يقع من آثار الكراهيَّة، فإنَّه يلزم عن الكراهية الفعل، ويتمثَّل ذلك في الصَّدِّ والرَّدِّ وإعلان الحرب، فالكارهُ لا يصبر على دوام أسباب ما يكرهه[1]، فإنَّ كراهةَ الشَّيء تدلُّ على مشقَّة الكارهِ منه وعدم قَبولِهِ إيّاه، فكراهيَّة الكافرين ذلك من المؤمنين تكون سببًا لتألُّبِهم وتظاهرِهم لمحاولتِهم صرْفَ المؤمنين عن ذلك وصدِّهم عنه بكلِّ وسيلةٍ يجدونها وفي جميع الأحوال، كما أنَّ مجرَّد الكراهةِ في القلب لا قيمةَ لها حتَّى يُبالغَ بها.

كـرهُ الكافرين أصـــــلٌ في تحرُّكهم ما دام السَّبب قائمًا، وهو التَّوحيد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 105.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»